أمانة بغداد تؤكد صعوبته حالياً والتجار والمتخصصون والأهالي يقترحون حلولاً بديلة

نقل الشورجة هل بات ضرورة ملحة؟

علي حمود الحسن
تصوير: سمير هادي

المدن تضفي على قاطنيها "السمة"، والمدن شوارع واسواق وساحات، ومن كينونة هذه ووجود تلك، تتمظهر شخصية المدينة، ويفوح عطرها الخاص.. المدينة بغداد والسوق الشورجة، والشورجة لغة "شورجاه" أي البئر المالحة، وهي مشتقة من اللغة التركية أو الفارسية، "فشورة" تعني الملح و"جاه" تعني المكان، وهذه التسمية أطلقت على حمام أنشئ في جزء من سوق العطارين القديم في الجهة الشرقية من بغداد التي عمَّرها المهدي بأمر من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، حيث بنى فيها قصراً وبيوتاً للموظفين والحرس، ليطّرد العمران فيها إلى وقتنا الحاضر.

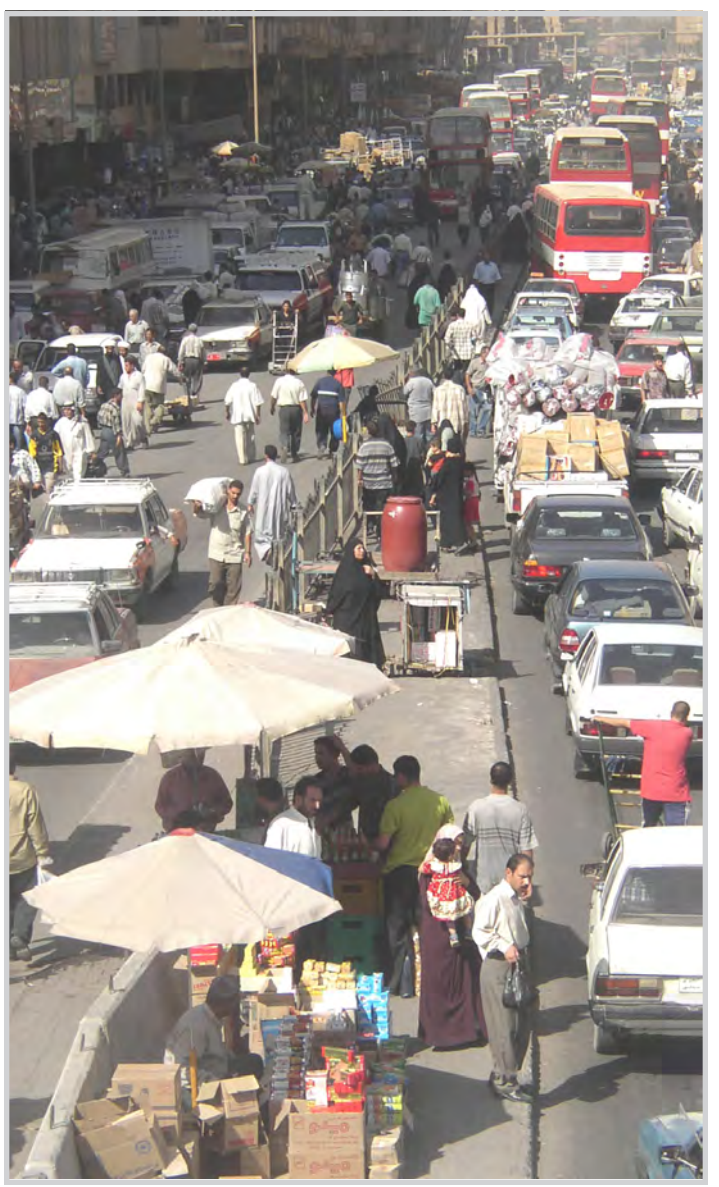

هذا السوق الصغير - الذي كان يسمى بسوق العطارين - تحول اليوم إلى واحد من أكبر الأسواق الجامعة في العالم، فهو إضافة الى كونه من أكبر أسواق الجملة في العراق فهو أيضاً من أكبر أسواق بيع المفرد، هنا يباع كل شيء وبلا ضوابط.. والبيع مواسم، والرزق على الله، هنا لم يكتف هذا السوق بوظيفته من بيع وشراء أو مضاربات، بل كان وما يزال سكناً، فهناك عشرات المحال التي تكوّن نسغ مدينة بغداد، وهنالك أماكن العبادة للديانات الثلاث جوامع وحسينيات، كنائس ومعابد يهودية. الشورجة نمت على خاصرة بغداد، وتورمت بشكل مرضي. فأربكت المخطط المعماري للمدينة وشوهت معالمها، وقد ساهمت الحروب والحصارات بهذه الفوضى، فقد أهملت التخطيط السليم ليحل البناء العشوائي، مما ولد ازدحامات لا تنتهي، وانتهاك بيئوي ليس له مثيل في كل أنحاء العالم..

ترى أليس بالإمكان نقل هذا السوق العتيد إلى منطقة أكثر رحابة وتطوير البقية الباقية من الأسواق ذات الدلالة التاريخية والتراثية الجميلة، بشكل ينسجم مع التخطيط المعماري الحديث لمدينة بغداد؟

حملنا هذه الأفكار، واستطلعنا آراء الناس في الشورجة من تجار واصحاب محال وباعة متجولين، وحمالين ومتبضعين إضافة إلى رأي أهل الخبرة من المعنيين بهذا الشأن.

تطوير

سألنا أولاً السيد خليل إبراهيم المبارك وسألناه عن إمكانية نقل الشورجة إلى مكان آخر؟

فأجابنا بعد تأمل طويل: محاولات نقل الشورجة ليست جديدة، وكلها باءت بالفشل، ذلك لأن المكان الحالي يتوسط بغداد الكرخ والرصافة.. وكراج النهضة والعلاوي يحيطان بالمكان من الجانبين.. وهنالك قضية أخرى: الشورجة لها مكانة خاصة في نفوس الناس، سواء كانوا من البغداديين أو المحافظات، وقد تعجب حين تكون اسعار بعض المواد في المحافظات أقل منها في الشورجة، ومع ذلك يشتريها المتبضع القادم من المحافظات، لكن يضيف السيد المبارك يمكن تطويرها وتوسيع أزقتها بإزاحة الباعة المتجولين الذين أغلقوا كل الطرق والمنافذ التي تؤدي إليها.. أنا مازلت أذكر أن (اللوريات) التي تحمل البضائع إلينا في السابق كانت تصل حتى الخان الذي تراه، في حين لا يستطيع الإنسان المجرد السير بسهولة.

شورجة الحبوب وأشياء أخرى

توغلنا في زحمة شورجة الحبوب لنلتقي بالسيد رفيع محمد علي "معلم متقاعد ومشرف على محل للعطاريات" وسألناه عن إمكانية نقل الشورجة إلى مكان آخر بعيداً عن الاكتظاظ فأجابنا: ما من شك في أن سوق الشورجة سوق مركزي وحيوي، لكنه "خبط" فيه معامل ومخازن ومتاجر ومقالٍ وسكن عوائل، هذا الخليط غير المتجانس يخلق الفوضى والتخبط في البناء، ويعزز حالات سلبية ليس أقلها حالات الفوضى التي أصبحت سمة من سمات هذا السوق، لذا فأنا مع نقل الشورجة إلى مكان آخر، شرط أن يظل السوق محافظاً على هويته، وذلك بالتطوير على مراحل، وأظن أن هذه ليست بالقضية المستحيلة.

التوراة والدهانة.. وعكَد النصارى

وقصدنا مؤرخ حياة بغداد الشعبية وحارس جامع الخلفاء الشيخ جلال الحنفي، الذي استقبلنا بترحاب، برغم الغصة والألم الذي يعتصره لما آل إليه الجامع من إهمال وعدم اهتمام.. سألناه عن إمكانية نقل الشورجة إلى مكان آخر؟

فقال: نعم أنا مع نقل الشورجة، لكن ليس لشدة الازدحام أو فوضى التخطيط والبناء.. إنما لأن الأرضة قد انتشرت في كل أبنيتها، ابتداءً من التوراة والدهانة حتى العمار وعكَد النصارى.

وهذه ليست المرة الأولى التي يفكر فيها أصحاب الشأن، بنقل الشورجة ولكن من دون جدوى، فللشورجة نكهتها الخاصة لها أريجها الخاص فهي سوق جامع، يجد فيه المتبضع كل ما يريد من مواد غذائية، أو تجهيزات منزلية أو حتى مواد أولية.

أنا "أضاف الشيخ الحنفي" أشرف على شؤون جامع الخلفاء من أربعين عاماً، وأنا اسكن الشقة المجاورة، وحينما كنت أنظر في الليالي ومن نافذتي، كنت أرى مصابيح شارع السعدون واليوم لا أرى أكثر من حائط "الجامع" - جامع الخلفاء - وهذا يعني في ما يعنيه مدى التوسع الذي شهدته الشورجة، وهذا التوسع في المباني لم يكن يتم وفق تخطيط أصولي، إنما توجده المنفعة، حتى صارت الشورجة تباع أراضيها بالأشبار.

أذكر أن الأمانة سعت منذ سنين قريبات، لمحاولة إيجاد سوق بديل لسوق الغزل وفي الساحة المقابلة للخلاني، ولكن من دون جدوى، ومصير محاولة نقل الشورجة مشابه لهذا، فالشورجة لا يمكن أن تخطئها الأرجل المتبضعة وذلك بحكم الاعتياد "فالعادات قاهرات" مثلما يقولون وكذلك فإن الشورجة مكان يتردد عليه أهل الأحياء المجاورة (المهدية - الفضل - الكولات - الصدرية).. إضافة لقربها من كراج العلاوي والنهضة. والحل عندي بقيام المختصين من الأمانة والمرور، ومن المؤرخين والأذكياء من البغداديين المعنيين بالتراث بتطوير هذا السوق العظيم.

شهرة عالمية

التقينا السيد (أبو حيدر) عبد المجيد ربيعة صاحب محال لبيع الجملة وسألناه عن رأيه في نقل الشورجة إلى الضواحي أو تطويرها؟

فأجابنا قائلاً: تعد الشورجة من الناحية التجارية من أهم الأسواق ليس في العراق حسب، إنما في البلدان العربية من حيث المكانة وحجم المتبادل من البضائع، ذلك لأنها تحوي مواد جاهزة ومواد أولية، وهذه المواد متمركزة في منطقة واحدة. وهذا يعني أن المتبضع يجد كل ما يحتاجه في هذا السوق، وكذلك سهولة وصول البضاعة إلى الكراجات، وعليه فإن عملية نقل الشورجة شبه مستحيلة، ولكن يمكن اتخاذ بعض التدابير للتقليل من الزحمة والفوضى الحاصلة، فالشورجة اليوم تختنق تحت أطنان من القمامة. ومن هذه التدابير:

- إن يكون شارع الجمهورية باتجاه واحد.
- عدم التجاوز من قبل الباعة المتجولين الثابتين أو المتحركين.
- إنشاء كراجات على شكل عمارات عمودية.
- وضع ضوابط صارمة لحركة مصلحة نقل الركاب.

تأجير بالباطن

توجهنا صوب السوق الغربي الذي هرم وشاخ بناؤه لنلتقي السيد عباس صاحب محال لبيع لعب الأطفال وكان جوابه عن سؤالنا الآتي:

في حالة نقل الشورجة إلى مكان آخر أو تطويرها لابد من توفير المكان البديل، الذي يجب أن يكون رحباً قريباً من الكراجات الرئيسة، وهذا ما أراه بعيداً جداً، فمكانة الشورجة إنما وجدت بفعل تراكم تاريخي طويل. أما في حالة التطوير فهنا المشكلة، فالتطوير يعني إزالة بنايات ومخازن سراديب ومحال فوق الأرض وتحتها، وكما تعلم فإن هذه الأملاك هي في معظمها: مؤجرة من الباطن لأكثر من طرف. فأزالتها تعني الضرر بمصالح الناس.

وعليه يجب أن تترشق الشورجة.. واقترح التطوير على شارع الشيخ عمر (جسور - انفاق - شوارع).. واقترح إطلاق مسابقة عالمية لتطوير الشورجة من دون المساس بروحها التراثية ومكانتها التجارية.

ولابأس أن تقوم الدولة بإقراض أصحاب الأملاك لتطوير أملاكهم وفق تصاميم مستقبلية تناسب حداثة مدينة بغداد المستقبلية.

من قال وقلت!

في سوق البلاستك والفافون وهو المنطقة الأكثر زحمة في الشورجة التقينا السيدة "أم وميض" وهي من منطقة الفضل وسألناها عن إمكانية نقل الشورجة إلى مكان آخر؟

فأجابتنا باستغراب شديد:

"خالة" الشورجة موجودة من "قال وقلت" هذا منو اللي أيريد نقلها. نحن نتسوق منها كل ما نحتاجه، فأنت ترى أني أجهز لزواج ابنتي، فقد اشتريت "الفرفوري" والبلاستك والقدور والمعاجن والفرش والبطاطين كلها من المكان نفسه..

الواحد يتسوق في الشورجة وهو مرتاح.. أما الازدحام فهو موجود في كل مكان!!

آلاف العوائل ترتزق من الشورجة

في شارع الجمهورية ومن داخل مصلحة نقل الركاب رقم (٣)، التي احتدمت فيها الحوارات والمساجلات بالألسن والأذرع. ابتداءً من نقد الحكومة والإرهاب وزجر لا ينتهي للسائق، الذي لا يتحرك قيد أنملة. استطعنا الوصول إليه وسألناه عن رأيه بأن تنقل الشورجة إلى مكان آخر؟

أجابنا منفعلاً:

عمي منين أجيبون هاي السوالف؟. لعد هاي آلاف العوائل، التي تأكل لكَمتها منها.. وين تروح؟!

الشورجة شغل الأمانة الشاغل

حملنا تساؤلنا حول إمكانية نقل الشورجة إلى الضواحي.. أو تطويرها بشكل ينهي ظاهرة الاختناقات والازدحامات والبناء الاخطبوطي في خاصرة بغداد، إلى الجهة المختصة أمانة بغداد.

فأجابنا المكتب الإعلامي:

الشورجة شغل الأمانة الشاغل، وهاجسها المستديم، فهي كباقي مناطق بغداد عانت من الإهمال والفوضى في التخطيط لاسيما بعد التسعينيات إذ لم تتوفر الإمكانية، ولا الجدية اللازمة للتطوير، فظلت كل المعالجات التي شرعت فيها الأمانة، فيما مضى محض معالجات ترقيعية، فتضخمت الأبنية والغيت الساحات وتداخلت الشوارع، وساد مبدأ المنفعة الشخصية في التصميم بدل المصلحة الوطنية، من حيث النظرة المستقبلية والبيئية، وقد أمر السيد الأمين في هذه الظروف العصيبة، بتطوير المناطق التجارية في الشورجة، وقد بدأنا فعلاً بوضع خطط مستقبلية، فنحن نمتلك تخطيطاً أصولياً يحافظ من ناحية على السمة المعمارية، ويلبي مستلزمات السوق الحديثة من ناحية أخرى.. وهذا يعني أن نقل الشورجة صعب جداً في الوقت الحاضر.. وعندنا تجربة مع سوق الغزل باءت بالفشل، ولكن وكما قلنا هنالك أفكار كثيرة لتطوير المنطقة فمثلاً ممكن إقامة جسر من ساحة الخلاني حتى باب المعظم، وبناء عمارات عمودية تستخدم ككراجات أو أنفاق، ثم الذي يحدث في الشورجة ويسبب إشكالات كبيرة، تساهم في هذه الفوضى هو هذا التمازج، ما بين البيع بالجملة والمفرد.

بضائع في شارع الجمهورية

توجهنا إلى الجهة الأكثر التصاقاً بزحمة الشورجة وشارع الجمهورية ابتداءً من باب المعظم حتى ساحة الخلاني، إنهم رجال المرور في آمرية مرور الرصافة، التقيناهم ميدانياً وسألناهم عن إمكانية نقل الشورجة إلى مكان آخر أو تطويرها فكان الجواب: ها أنتم ترون الجهد الأسطوري الذي يبذله المنتسبون في شرطة المرور، من أجل إنسيابية المرور في شارع الجمهورية، وهي مهمة شبه مستحيلة برغم الحلول والبدائل التي وضعتها آمرية مرور الرصافة، ابتداءً من تنظيم السير والمتابعة لحركة الشارع على مدار الساعة، وتنظيم سير الحافلات، ولكن هذه الجهود تصطدم دوماً بهذه الفوضى العارمة، فالمحال تعرض بضائعها في نهر شارع الجمهورية بعد أن استولت على رصيف السابلة، وعربات الحمل الصغيرة.. لذا فإن مديرية المرور لا يمكن أن تؤدي واجبها على أكمل وجه بلا مساندة أمانة بغداد، ونحن مع فكرة نقل الشورجة إلى إماكن بعيدة عن قلب العاصمة، ولا بأس من إعادة تطوير وتخطيط السوق بشكل يتناسب مع مكانته التراثية.

سالنا السيد اسعد العاقولي الاقتصادي العراقي السؤال نفسه وأجابنا قائلاً: للشورجة دور مهم وفعال في مجال التسويق، وقد أسهمت إسهاماً كبيراً في دورة رأس المال ابان المحنة التي عصفت بالعراق، فقد وفرت فرص عمل هائلة، وأعطت جرعات مهمة للاقتصاد العراقي، وهو يترنح تحت سندانة سياسة النظام الصدامي الرعناء ومطرقة الحصار، إضافة إلى ذلك فإن وجود سوق في مركز المدينة هو ظاهرة صحيحة وصحية، وهذا ما هو موجود في الشورجة، مما أعطاها بعداً تخصصياً، أنا مع نقل الشورجة ولكن ليس في الظروف الحالية، ومن الأفضل أن يتم ذلك بالتدريج.

وبعد!

أخيراً استطلعنا آراء تقول، باستحالة نقل الشورجة إلى مكان آخر أكثر رحابة، وأخرى تقول بضرورة وضع حل لهذا التضخم المرضي، الذي حل بخاصرة بغداد، وأهل الاختصاص والمشورة يقولون بضرورة تطوير مناطق الشورجة تدريجياً، بشكل ينسجم ومكانتها التراثية والتاريخية، لكن الشيء الذي يتفق عليه الجميع، بلا استثناء هو أن الشورجة تاج بغداد وسوقها الذي لا يضاهى.

تحت الضوء

حرب انتخابية

حسين التميمي

ان كل جهد يبذل في هذه الايام من اجل الحد من التقاطعات والاتهامات المتبادلة والنزاعات السياسية بين الاطراف الداخلة في الاستحقاق الانتخابي الموشك وقت انتظاره على النفاد يصب في مصلحة المواطن اولاً، وفي مصلحة العملية الانتخابية ثانياً، فالاجواء ملبدة بالنيات السيئة، وخلف هذه النيات تقف فئات وجهات شتى بعضها معمم وبعضها ملثم وبعضها مدعم بالدولار القادم من وراء الحدود يتوجب التنبه الى ان هذه الفترة لها وضع خاص بالغ الدقة والخطورة علماً ان الكثير من البلدان المستقرة امنياً وسياسياً قد حدث فيها الكثير من المشاكل مع اقتراب موعد الانتخابات وفي اثنائها فما بالك ببلد مثل بلدنا، خرج من بين فكي طاغية ليقع في (حجر) محتل، وابوابه مفتوحة على المشارق والمغارب من دون حسيب او رقيب. لذا لا يصعب مع اجواء التنبؤ بحدوث الكثير من الخروقات والكثير من المصاعب ولا شيء يخفف من حدوث مثل هذه الامور اذا لم تكن هناك شفافية وروح تسامح بين ابناء شعبنا من مرشحين وناخبين، فالوعي ان غايتنا من هذه الانتخابات واحدة مطلوب، والوعي أن يجتمع كل المرشحين قولاً وفعلاً على الرغبة في خدمة هذا البلد الجريح، خدمة منزهة عن الاغراض والاطماع الشخصية، مطلوب بشدة ايضاً، ويجب التثقيف به تثقيفاً عاماً موسعاً، كما يجب على كل حزب او حركة او أي جهة اخرى رشحت للانتخابات ان تعي ان عدم فوزها في هذه الانتخابات لا يعني نهاية المطاف، ولا يعني ايضاً ان تتخذ موقف المعارض (بطريقة سلبية) انما يعني ان دورها قد بدأ في العمل السياسي الوطني، لان عراقنا الجديد بحاجة ال كل يد شريفة تمد له يد العون سواء من داخل السلطة المنتخبة او من خارجها، بعبارة اخرى على كل مواطن ان يعي بأنه مسؤول بطريقة او بأخرى حتى ان كان خارج نطاق المسؤولية (بصفتها الرسمية) عن تحقيق حلمه في الديمقراطية والحرية ان يعمل على تحقيقهما بوصفه مواطناً مسؤولاً وله الحق في ان يسائل وان يجادل اصحاب العلاقة من مسؤولي الغد عما فعلوه من اجله، فإذا ما تحقق هذا الامر فسيولد بالتالي حس جمعي لدى عامة الشعب بحقوقه المشروعة التي يجب على كل مسؤول ان يضعها نصب عينيه، وهذا ان حدث فسيكون درعاً واقياً لهذا الشعب ضد كل تسلط دكتاتوري.